« مثل ارضنا في السماء » وفيه ما فيه من الاقاويل الغريبة التي كتب عنها احد قرّاء البشير « بأنها اقرب الى الاحلام والهذيان منها الى كتابة رجل عاقل » ل. ش

شذرات

حريق مكتبة الاسكندريّة لم نلتفت الى سؤال أُلقاهُ علينا الكاتب الاديب عبد الوهّاب سليم افندي التتير في احد اعداد النبراس (عدد ٣ ص ١٠٣ من سنته هذه الثانية) حيث روى جوابنا في المشرق (ص ١٦٠) على سؤال الشمّاس حبيب جرجس اسطفان في اوّل من ذكر حريق مكتبة الاسكندريّة على يد عمرو بن العاص. وخلاصة جوابنا انّهُ سبق الى القول بهِ عبد اللطيف البغداديّ والوزير جمال الدين المعروف بابن القفطيّ في كتابهِ تاريخ الحكماء. فمن ثم ألقى علينا كاتب النبراس هذا السؤال: « هل لحضرة الاب لويس شيخو ان يذكر لنا رواية الوزير جمال الدين الشهير بابن القفطيّ المذكور وترجمهُ ان ينقل كلامهُ حرفيًّا لا باختصار »

فنجيب بطيب الخاطر: هذا كلام الوزير بالحرف الواحد ننقلهُ عن طبعة ليبسيك التي طبعها الدكتور ليپرت (D^r J. Lippert) سنة ١٩٠٣ (ص ٣٥٤—٣٥٦) قال:

وعاش (يحيى النحويّ) الى أن فتح عمرو بن العاص مصر والاسكندريّة ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلم واعتقاده وما جرى لهُ مع النصارى فاكرمهُ عمرو ورأى لهُ موضعاً وسمع كلامهُ في ابطال التثليث فأعجبه وسمع كلامهُ ايضاً في انقضاء الدهر ففتن بهِ وشاهد من حُجَجه المنطقيّة وسمع من الفاظه الفلسفيّة التي لم تكن للعرب بها أُنسةٌ ما هاله وكان عمرو بن العاص عاقلًا حسن الاستماع صحيح الذكر فلازمهُ وكان لا يكاد يفارقهُ ثم قال لهُ يحيى يوماً: إنّك قد احطتَ بحواصل الاسكندريّة وخمست على كل الاصناف الموجودة بها فأمّا ما املكهُ بهِ انتفاع فلا أعارضك فيهِ وما لا نفعَ لكم بهِ فنحن أولى بهِ فأمر بالافراج عنهُ فقال لهُ عمرو: وما الذي تحتاج اليهِ. فقال: كُتُب الحكمة في الخزائن الملوكيّة وقد اوقفت المَوَكّلة عليها ونحن محتاجون اليها ولا نفعَ لكم بها. فقال لهُ: ومن جمع هذه الكتب وما قصتُها. فقال لهُ يحيى: إن بطلوماوس فيلادلفوس من ملوك الاسكندريّة لمّا ملك حُبّب اليهِ العلم والبناء وتقصّ عن كتب العلم وامر بجمعها وافرد لها خزائن فجُمعت. وهذه الكتب لم تزل محروسة محفوظة يراعيها كل من يلي الامر من الملوك واتباعهم الى وقتنا هذا. فاستكثر عمرو ما ذكرهُ يحيى وعجب منهُ وقال: لا يمكنُني ان آمر فيها بأمر الّا بعد استئذان امير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكتب الى عمر وعرّفهُ قول يحيى الذي ذكرناهُ واستأذنهُ ما الذي يصنع فيها فورد عليهِ كتاب عمر يقول فيه: «واما الكتب التي ذكرتها فان كان فيها ما يوافق كتاب الله فغي كتاب الله عنهُ غنى وإن كان فيها ما يخالف

كتابَ الله فلا حاجة اليها فتقدَّم باعدامها ». فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمَّامات الاسكندريَّة واحراقها في مواقدها وذُكِرتْ عدَّة الحمَّامات يومئذٍ وأنيتُها فذكروا أنها استُنفدت في مدَّة ستَّة اشهر فاسمع ما جرى واعجب

فترى انَّ رواية ابن القفطيّ اقدم واوثق واوسع من رواية ابن العبري (اطلب مختصر تاريخ الدول ص ١٧٦) وانما اختصرها فقط ابن العبري . وهذا الامر قد صرَّح به كثيرون من المسلمين غير ابن القفطي كعبد اللطيف البغداديّ المعروف بتدقيقه في البحث والمتوفَّى قبل ابن القفطي وذلك في الفصل الرابع من كتابه الشهير عن مصر « الافادة والاعتبار » فذكر عن عمود السواري انَّه بقيَّة قبةٍ « فيها كانت خزانة الكتب التي حرقها عمرو بن العاصي باذن عمر رضي الله عنهُ »

وقد قال به من بعدهما المقريزيّ كما بين دي ساسي (Relation d'Egypte 240) . ولنا شواهد غيرها تثبت الامر لا بل تعمِّمهُ عن فتوحات البلاد وخصوصاً عن كتب علوم الفرس النفيسة كما اشار اليه في الفصل الرابع من مقدِّمة كشف الظنون (طبعة ليدن ١ : ٧٨ طبعة الاستانة ٢٥) الحاجّ خليفة حيث قال:

« كانت العرب في صدر الاسلام لا تعتني بشيءٍ من العلوم الَّا بلغتها وسرقة أحكام شريعتها وصناعة الطبّ . . . حتى يُروى انهم احرقوا ما وجدوا من الكتب في فتوحات البلاد »

وجاء مثل هذا في مقدِّمة ابن خلدون اطلب تاريخهُ (١ : ٣٢) حيث روى امر عمر بابادة كتب الفرس قال:

« فالعلوم كثيرة والحكماء في أمَم النوع الانساني متعدِّدون وما لم يصل الينا من العلوم اكثر مما وصل فانى علوم الفرس التي امر عمر رضي الله عليه بمحوها عند الفتح »

وزاد الحاج خليفة ايضاحاً في باب الحكمة قال (٣ : ١٠ طبعة الاستانة ٤٤٦) :

« انَّ المسلمين لمَّا فتحوا بلاد فارس واصابوا من كتبهم كتب سعد بن ابي وقَّاص الى عمر بن الخطَّاب يستأذن في شأنها وتنقيلها للمسلمين فكتب اليه عُمَر رضي الله عنهُ : ان اطرحوها في الماء فان يكن ما فيها هُدًى هدانا الله باهدى منهُ وان يكن ضلالاً فقد كفانا الله . فطرحوها في الماء او في النار وذهبت علوم الفرس فيها »

فهذه الشواهد لا يمكن انكارها وكلُّها لكتبة مسلمين فكيف نسب كاتب النبراس الى التعصب من رواها عنهم . على انَّ العلماء يرتئون ان المكتبة التي حُرقت عند الفتح الاسلامي لم تكن مكتبة البطالسة التي كانت تلفت سابقاً ولكن مكتبة اخرى دونها

الكتابة والكتب ودورها قرأنا في المقتبس في الجزء السادس

من السنة الحالية خطبةً في الكتابة والكتب ودورها للاديب احمد بك زكي جمع فيها كثيراً من الفوائد عن الكتب وانشاء المكاتب الّا اننا اشتممنا منها رائحة التعصب في بعض قطعها. فمنها اطراؤهُ البالغ لعلوم العرب وتأثيرهم في علوم الغرب. فانّ هذا كلامٌ قالهُ بعض المستشرقين قبل تمثلهم في البحث عن تاريخ تلك العلوم كسيديلو (Sédillot) ولوبون (Le Bon) واليوم قد زُيّف قولهم غيرهم من العلماء فبيّنوا انّ هذا التأثير في عالم الغرب كان محدوداً. وزد عليه انّ علوم اليونان اكثر ممن احرزها النصارى من السريان وغيرهم فنقلوها من اصلها ولولاهم لما عرف منها العرب الّا النزر القليل — ومنها قولهُ انّ القديس لويس التاسع تعلّم من سلاطين الشرق أن ينشئ المكاتب العمومية وانهُ « اصابهُ دخلٌ في عقلهِ فبدّد شمل ما جمعهُ منها » وهو كلام مخجل بشرف احد كبار الملوك لم نسمعهُ حتى اليوم مع كثرة ما قرأنا عنهُ. ولا نظنّ انّ القديس لويس احتاج الى ان يقتبس عن العرب « فكرة جمع الكتب » فانّ الغربيين كانوا منذ اجيال عديدة يحرزون الكتب ويجمعونها ويستفيدون منها ويفيدون. ولو ارادوا لأنتسبوا بمن كانوا اقرب منهم اعني الاحبار الرومانيين الذين منذ الاجيال الاولى للنصرانية اهتمّوا بذلك ومثلهم الرهبان قبل العرب بمدة طويلة لاسيما البندكتيّون الذين انتدبوا من البرابرة الكنوز العلمية يحفظها وتعديد نسخها. ولو شئنا لأتينا على همتهم بشواهد لا تُنكر — ومنها وصفهُ لحريق مكاتب اسبانية فانهُ نسب الى الاسبانيين ما لا يقبلهُ عقل وكنّا وددنا لو ذكر لاثباته اسانيدهُ فلا ينقل جزافاً كلام بعض المتهوّسين. فهب انّ قسماً من الكتب العربية حُرقت في الحروب بين الاسبان وبين العرب افيقبل العقل انّ الكردينال كسيمنيس احرق « في يوم واحد الف الف كتاب »؟ فهاهنا مكتبة لندن ومكتبة باريس مع كثرة ما انفقتا وجمعتا من المخطوطات والمطبوعات منذ مئين من السنين لا يكاد يبلغ مجموع كتبهما هذا العدد افيجوز القول بانّ غرناطة كانت تحتوي الف الف كتاب خطّ؟. وقد زاد ضغثاً على أبالة بقوله « وكان هذا الصنيع بعمل الايمان » فايّ ايمان اجاز ذلك؟ وكانهُ اراد الايمان المسيحي الذي كان في كل آن اعظم ناصر للعلم. فلينظر جناب الخطيب المكاتب الغربية في يومنا فمن جمعها الّا النصارى ولولاهم لفُقدت كل مآثر العرب. وقد سمعنا الشيخ محمّد عبده يقول: « اذ كنتُ في تونس كنت اسمع صوت القرّضة تقرض ما في خزائنها من الكتب فالشكر

الف الشكر للفرنج الذين حفظوا لنا مآثرنا ». هذا فعل الغربيين في كتب الامم الاجنبية فما قولك بكتبهم ومآثر اجدادهم. فتأمل

أسئلة وأجوبة

س سأل غ. ج. من ادباء البلدة ما السبب لتفضيل العهدين القديم والحديث للجهة اليُسنى على اليُسرى فيقال: ان المسيح جلس من يمين ابيه. وانَّ الابرار في الدينونة يكونون من يمين الديان فضل الجهة اليُسنى على اليُسرى

ج هو اصطلاح غلب بين الشعوب الراقية لما يُرى عادةً من القوَّة في اليد اليسنى. والقوَّة مصدر العزّ والشرف وعلى هذا الرأي جرى كتبة العهدين القديم والحديث

س سُئلنا اين تُباع الكتب الفرنسويَّة المؤلفة لاسرار الشيع الماسونيَّة التآليف الماسونيَّة

أُنشئت في فرنسة جمعيَّة لمقاومة الماسونيَّة ومناصبة اعمالها القبيحة ونشر اسرارها ومكايدها تُدعى الشركة المناقضة للشيعة الماسونيَّة (Ligue antimaçonnique) ومقامها في باريس (Paris, *rue de Grenelle*, 42) ولها اليوم في كل انحاء فرنسة شركاء يرومون معها الى غرضها. وقد نشرت الى اليوم عدَّة تآليف تُطلع القرَّاء على دفائن العشيرة منها جريدة تصدر مرَّتين في الشهر عنوانها « فضح الماسونيَّة La Franc-Maçonnerie démasquée). ومن منشوراتها القريبة العهد الدليل الماسوني (Répertoire Maçonnique) فيه اسماء ٣٥,٠٠٠ من المنتمين الى الماسونية في فرنسة ومستعمراتها مع ذكر الاسانيد التي عمدوا اليها في جمعها. فمن اراد الوقوف عليه فليطلبهُ من ادارة الجمعيَّة المذكورة. ولهذا الكتاب مقدِّمة ذات شأن. واصحاب هذه الشركة مستعدُّون ان يفيدوا مكاتبيهم عن احوال الماسونية والمنشورات الخاصَّة بها

س وسأل جناب نقولا فارس افندي باخوس لايّ سبب أُطلق على محفل الماسون الاكبر في فرنسة اسم « الشرق الاعظم » وليس « الغرب الاعظم »

ج ذلك لاسباب: اوَّلًا لادّعاء الماسون بانَّهم ينيرون عقول ذويهم بالنور مصدرهُ من الشرق. ثانيًا لأنَّ الماسون ينسبون زورًا اصلهم الى الشرق. ثالثًا ليموّهوا على الغربيين الذين كانوا يعدُّون الشرق كبلاد العجائب. رابعًا ليتقلدوا الكنيسة التي تسمّي السيد المسيح شرقًا كما دعتهُ الانبياء. وتصلي لاجل ذلك متجهة الى الشرق. وعلى كل فان هذا الاسم احد اكاذيب الماسونية المعتادة

ل. ش